البيان والتبيين

في أصناف المحرجين(١)

يبدو أن هناك فئة من مخلوقات الله تخصصت في فن عجيب هو إحراج الآخرين. ويبدو أن حصتي من الارتطام بهذه الفئة تفوق حصة الأسد.. وربما الفيل..

المحرجون يستمدون متعتهم العظمى، وربما الوحيدة، من إحراج الناس. يستمتعون بكل ثانية من الثواني التي يقضيها الضحية وهو في قبضة الحرج. وإليكم التفاصيل:

محرج الذاكرة

وهذا الأخ العزيز يبدأ بسؤالك:

- ما تذكرني؟!

من الواضح لكل ذي عينين - ولمعظم العميان - أنك لم تتذكره، ومع ذلك يمضي محرج الذاكرة متلذذاً بتعذيبك:

(١) عن «استراحة الخميس» المنشورة في الوطن (١٩٩٩م).

- أكيد أنك نسيتني.

وبدلاً من أن تصارحه بأنه لا يوجد أي سبب منطقي أو غير منطقي يجعل من شخصه الكريم شيئاً غير قابل للنسيان تلوذ بما لديك من أدب طارف وتليد وتقول:

- أعوذ بالله! كيف أنساك؟

وهنا يغيب المحرج في نشوة عارمة من السعادة وهو ينظر إليك مباشرة ويقول:

-إذا لم تنسني فقل لي مَنْ أنا!

ويحمر وجهك وتضطرب وتتلعثم، ولا تعرف ماذا تقول؟ ومحرج الذاكرة يبتسم في براءة الأطفال ويردد:

- ما قلت لك؟ نسيتني!

وتبدأ تفكر في إجابة إلا أنه يباغتك:

- سبحان الله! زمان ما له أمان! يتكبر الناس على بعض، وينسون بعض!

obeikandl.com

محرج المعدة

ترى هذا السيد السند عرضا وأنت تعبر قاعة فندق ما، في طريقك إلى اجتماع ما، فينطلق صوبك كالقضاء المستعجل -كما يقول الأشقاء المصريون- ويصرخ:

- موعد! أعطني موعداً.

لا حول ولا قوة إلا بالله!

ويستطرد محرج المعدة قبل أن تنجح في العثور على مهرب ملائم:

- الليلة! العشاء الليلة!

وتقول أنت بصوت تحاول جاهداً أن تجعله نابضاً بالصدق:

- للأسف عندي ضيوف الليلة.

تدرك بمجرد صدور العبارة أن محرج المعدة سوف يحكم الخناق، ولا يخيب ظنك:

obeikandl.com

- ضيوف؟ أَبْرَك ساعة، هاتهم معك.

بصوت بدأ اليأس يدبُّ إليه تقول:

- أعذرني. ناس لا تعرفهم. ولا تنسجم معهم.

ويتلمظ محرج المعدة بشغف، ويضحك ويقول:

- أتشرف بك وبضيوفك. أصحابك أصحابي. الليلة في المطعم الهندي اللي في «جلوستر رود».

تنظر إلى محرج المعدة وتوشك أن تبكي وأنت تقول:

- شكراً ! شكراً! لا أستطيع. عندي معهم شغل خاص.

تدرك على الفور أنك ارتكبت خطأ قاتلاً. ويرد محرج المعدة:

- شغل خاص؟ الله يهديك! إحنا بيننا أسرار؟ إحنا أخوان.

وقبل أن تقول شيئاً يباغتك:

- وين عازمهم؟

تتقلص ملامحك وأنت تهمس بصوت ترجو ألا يصل إلى سمعه:

- في البيت

تقع في الفخ، ويصرخ محرج المعدة:

- خلاص. الساعة الثامنة أنا عندك في البيت.

ويغمى عليك، وعندما تفيق تجد محرج المعدة يقول للجمع الصغير الذي اجتمع وهو يشير إليك بسرور:

- الرجَّال قلت له: باتعشى عندك ومات من الفرح!

محرج التربية البدنية

وهذا البطل ممشوق القوام يطبّ عليك، وأنت تفكر في وضع متردٍ من أوضاع الأمة العربية، ويسألك دون مقدمات:

- أنت تسوي رياضة؟

يلمح علامات الحرج تتسارع إلى وجهك فتتسارع علامات السعادة إلى وجهه. وتقول أنت:

obeikandl.com

- أمشي.

تدرك بمجرد خروج الكلمة أنك ابتلعت الطعم ويجيء السؤال أسرع من الرصاصة:

- كم كيلو؟

تحاول أن تجيب على طريقة وزارة الخارجية البريطانية:

- يعتمد .. حسب الظروف.

إلا أن محرج التربية البدنية لا يؤمن بالردود الغامضة ويقول:

- يعني كم كيلو؟ خمسة؟ ستة؟ عشرة؟

تهمس وأنت تقاوم الرغبة العارمة في قتله:

- بين كيلو وكيلوين

تمتزج أمارات الاحتقار بابتسامة النشوة في وجه محرج التربية البدنية وهو يقول:

obeikandl.com

- ما يكفي! ما يكفي! يبغالك سبعة كيلو أقل شيء. وش رأيك أمر عليك بكرة ونمشي سوا؟

لا تجيب . ويخفف عليك محرج التربية البدنية المسألة:

- كلها ساعتين بس.

يمتقع وجهك ذعراً وتقول دون تفكير:

- آسف! بكرة أنا مسافر الفجر. رايح كندا.

تتسع ابتسامة رائد المشي ويقول:

- فرصة. نروح المطار مشي. أمرّ عليك نص الليل. والفجر إحنا في المطار.

محرج الوزن

قبل النظرة والابتسامة والكلام يصفعك محرج الوزن بالملاحظة العلمية الدقيقة التالية:

- ترى وزنك زايد يا فلان.

وتتلعثم، كعادتك أمام المحرجين وتردد:

- ناوي أعمل ريجيم إن شاء الله.

يتجاهل المحرج وعدك ويمضي قائلاً:

- يبغالك تنقص أربعين كيلو. أقلها.

وترد بالموافقة الفورية أملاً أن ينتهي الحوار الظريف عند هذا الحد. إلا أن محرج الوزن لم يكد يبدأ. ويستأنف:

- ترى فلان مات بالسكتة. وذبحه الكولسترول. كله من زيادة الوزن.

وتهز رأسك موافقاً على أن زيادة الوزن أفتك سلاح في ترسانة عزرائيل. ويسترسل محرج الوزن:

- وفلان تحرول، زاد الوزن على ركبته وتحرول.

وتؤكد أنت أن زيادة الوزن خطر داهم على الركب ووسيلة مضمونة للشلل. ويمضي محرج الوزن:

- والضغط! ترى الضغط ما يجيء إلا من زيادة الوزن.

obeikandl.com

ويستمر محرج الوزن غير آبه برأسك الذي يهتز بعنف تأييداً لكلامه:

- عليك بريجيم الليمون.

وتوافق مسبقاً على ريجيم الليمون بأمل أن تُعفى من تفاصيله، إلا أن التفاصيل تأتي على أية حال:

- قبل الفطور تعصر أربع ليمونات في ماي حار وتشربه مرة واحدة. والفطور جريب فروت. وقبل الغدا تعصر سبع ليمونات في ماي حار وتشربه.. والغدا جناح حمامة.

لا ينتهي محرج الوزن من وصفته إلا وأنت على وشك أن تضع يديك على رقبته وتضغط.. وتضغط.. حتى تخرج من مسامه كل ليمونة شربها مع الماء الحار في حياته.

محرج التحقيق

وهذا الفضولي المخضرم يهاتفك فلا يجدك وما إن يراك حتى يصرخ متهماً:

obeikandl.com

- أمس ما كنت في المكتب. وين كنت؟

وتردّ بلا تفكير.

- في المستشفى.

تتهلل ملامح محرج التحقيق حبوراً وهو يقول:

- المستشفى؟ سلامات ! وش فيك؟

وتجيب وأنت تدعو الرحمن الرحيم أن يكتفي الفضولي بالجواب:

- فحوصات.

إلا أن الجواب يفتح شهية محرج التحقيق كما يفتح الليمون شهية محرج الوزن:

- فحوصات؟ خير؟ فحوصات ليش؟

تتذرع بكل ما تملك من دبلوماسية وأنت تقول:

- لا. بسيطة - المصارين.

يرتسم على وجه محرج التحقيق إشفاق مصطنع وهو يقول:

obeikandl.com

- المصارين؟ عسى ما هو شيء كايد؟

تقاوم الرغبة الشديدة التي تدعوك إلى عضّه وتقول بنبرة تأمل أن تكون قطعية ونهائية:

- لا . التهاب بسيط.

يسر محرج التحقيق باكتشاف التهاب في هذه المنطقة الخطرة من جسمك الذي يحتاج إلى أن يفقد (٤٠ كيلو جراماً .. أقلها).

ولا يخفي المحرج سروره وهو يسألك:

- في القولون؟

تلعن الساعة التي جمعتك بطلعته البهية وترد:

- لا. في الإثني عشر.

يصرخ محرج التحقيق وكأنه تلقى لتوه أسعد نبأ في التاريخ:

- قرحة! معك قرحة!

بغتة تشعر بألم شديد في أمعائك يجعلك تتلوى أمام محرج التحقيق الذي يضحك بفرح غامر:

obeikandl.com

- قــرحــة! لا إلـه إلا الله! أبو راشـــد نزفت عليــه القرحة ومات في العيد!

محرج الأزياء

يبادرك هذا الفتى الأنيق الرشيق الرقيق قائلاً:

- كرافتك مو مربوطة زين.

وتصلح وضع كرافتك وأنت ترقب المتعة تفترش وجه محرج الأزياء الذي يباغتك:

- الكرافتة مو ماشية مع البدلة.

وتهـز رأسك مـوافـقـاً على طول الخـط. ويسـتطرد محرج الأزياء:

- لو لبست مع البدلة كرافتة زرقاء كان أزين.

وتَعِدُه أنك لن تعود بعد اليوم إلى ارتداء هذه البدلة إلا مع كرافتة زرقاء «نيفي بلو»!

ويترك محرج الأزياء الكرافتة على مضض وينتقل باهتمامه المشكور صوب منديل الجيب:

obeikandl.com

- المنديل «ست» مع الكرافتة؟

وتنفي أن يكون المنديل جزءاً من «ست»، معترفاً أن اختيارك له -للمنديل- لا يعدو أن يكون اجتهاداً قابلاً للخطأ. ويقول محرج الأزياء ونشوة النصر تواكب كل حرف من حروفه:

- المنديل مو ماشي مع الكرافتة.

وتؤيد أن التناقض بين المنديل والكرافتة يفوق بمراحل التناقض المخجل بين الكرافتة والبدلة. ويطوّر محرج الأزياء هجومه ببراعة يحسده عليها نسيم حميد:

- والبدلة ضيّقة شوي!

وتعترف أن البدلة ضاقت بما تحمل. وتغادر على عجل حتى لا يكتشف محرج الأزياء مصائب جديدة ولا تكاد تمشي خطوتين حتى يصيح محرج الأزياء:

- انتبه! البنطلون بيطيح ! اربط الحزام زين!

هذا والبدلة ضيّقة شوي!!

محرج الأمكنة

يبادرك هذا الرحالة العظيم بمعلومة أنت أزهد الناس في الحصول عليها:

- توّني جاي من أكابولكو.

وتصمت متوجساً خيفة - ويقول:

- أكابولكو في المكسيك.

وقبل أن تعلّق يباغتك:

- أنت جيت أكابولكو؟

وتنفي أنت أنك حظيت بزيارة أكابولكو. ويعاقبك محرج الأمكنة فوراً:

- عجيب! لازم تشوفها.

وقبل أن تنتهي من وعدك القاطع بزيارتها في أقرب فرصة سانحة ينقض عليك محرج الأمكنة.

- وسياتل؟

وتقول ببراءة الضحايا:

obeikandl.com

- وماذا عن سياتل؟

- جيت سياتل؟

وتنفي أن تكون جئت سياتل أو جاءتك. ويستغرب محرج الأمكنة:

- عجيب! تروح أمريكا ولا تروح سياتل؟! أمريكا أحلى ما فيها سياتل.

وتَعِدُ محرجَ الأمكنة أن أولويتك القادمة في الحياة سوف تكون زيارة سياتل. وعندما تعتقد أنك تخلصت من امتحان الجغرافيا البغيض ينقض محرج الأمكنة:

-ولا تنسَ أوريجون!

وقبل أن تَعِدَ بشيء يستطرد محرج الأمكنة:

- والله إنك عجيب. ما شفت المكسيك. ولا شفت سياتل. ولا شفت أوريجون. وين تروح في الإجازة؟

وتقول وأنت تنتفض رعباً:

- سويسرا.

يزأر مزعج الأمكنة زئيراً يذكرك بطرزان:

- سويسرا فيها قرية اسمها «لا شونتيه» فيها مطعم عظيم..

تعد بزيارة هذه القرية، إلا أن المحرج ينطلق الآن في محاضرة أخرى:

- وجنبها قرية اسمها «لا فونتيه»

وتتمتم أنت:

- الله لايقبل لا فونتيه.. ولا مَنْ يجيها!

ويسألك محرج الأمكنة:

- اشتقول؟

وترد على الفور:

- «لا فونتيه!» أول محل سأزوره هذا الصيف!

محرج الثقافة

يقدم عليك هذا العالم العلامة الحَبْر الفهَّامة متأبطاً حقيبة بلاستيك من مكتبة «الساقي».. منتفخة بأنواع الكتب، ويبدأ:

obeikandl.com

- قريت كتاب هيكل. المقالات اليابانية؟

وتقول أنت بخبث:

- هيكل يكتب باليابانى؟ ما دريت!

محرج الثقافة - شأنه شأن بقية المحرجين - لا يملك ذرة واحدة من روح الدعابة؛ ولهذا يرد عليك بمحاضرة طويلة عريضة عن سبب تسمية الكتاب المقالات اليابانية.

وبمجرد انتهاء «الوصلة» اليابانية يسألك محرج الثقافة:

- قريت ديوان ألحان الورعان؟

وتسأل أنت:

- من الذي كتبه؟

ويقول محرج الثقافة:

- ضب النفود

وتستغرب الاسم ويهمس محرج الثقافة:

- اسم مستعار. والديوان من نظم امرأة.

obeikandl.com

وتَعِدُ بقراءة الديوان في أقرب فرصة بينما ينظر إليك محرج الثقافة مستغرباً ويقول:

- وتقول إنك شاعر وما قريت ألحان الورعان؟

وتعترف أن لكل جواد كبوة، وأنك ستسارع إلى سد هذا النقص الفظيع في ثقافتك، إلا أن الامتحان الثقافي لم ينتهِ:

- قريت قاموس الفيتامينات؟

وتعترف أنك قرأت مخزناً كاملاً من القواميس ليس من بينها قاموس الفيتامينات.

ويهجم عليك محرج الثقافة:

- كنت وزير صحة ولا قريت قاموس الفيتامينات؟!

تحاول أنت أن ترد على الهجوم بالهجوم وتقول:

- يا أستاذ! أنت قريت العصفورية؟

ينظر إليك محرج الثقافة بامتعاض ويقول قبل أن يغادر مجلسك المعمور بالجهل:

- العصفورية؟ أنا ما أقرأ عن الطيور.

سيداتي - سادتي:

جعل الله كلامي خفيفاً على قلوبكن. . وقلوبكم . . أما أنتم معشر المحرجين . . فجعل الله كلامي على قلوبكم ثقيلاً جداً . . جداً . . جداً.

obeikandl.com